رائد أمة وصانع تاريخ

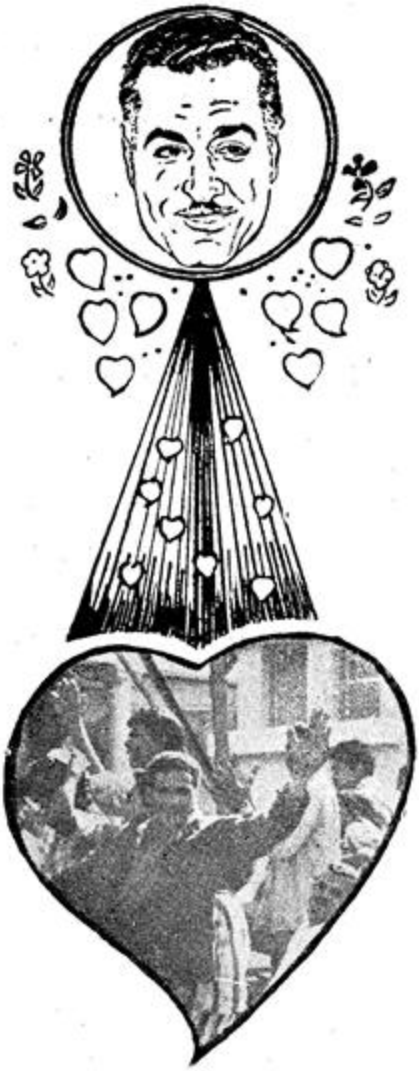

فارع القامة ، رافع الهامة ، عريض المنكبين ، تجيش حيويتـــه فى اهـاب رجولته ، فتبعث فى عينيه تطلعا الى الأفق البعيد ، وتملأ قلبه ايمانا بالغد، وثقة بالغلبة والنصر .

تلمحه على المنصة فى وقفة الحـزم والعزم ، وقبالته الأفواج المرصوصة ، مشدودة الأحداق نحوه ، مرهفـــة الأسماع اليه ، ترقب ما يلفظ من قول، كانها بحر يزخر بالموج ، مسته عصا ساحر ، فأمسك عن الحركة بغتـة ، وران عليه سكون عميم .

بقلم
محمود تيمور

هنالك يبدأ خطبته ، جهير الصوت ، ثابت المقطع ، يرسل الكلمة تلو الكلمة ، والجملة بعد الجملة ، تتجاوب بها ارجاء الفضاء الفسيح ، فاذا هى تبلغ شغاف القلوب، وتنفذ الى مكامن الشعور ، واذا البحر الساكن ينفك عنه السحر فيتدفق عارم الموج ، تستبد به حمية وحماس.

ما أجله مشهدا تنقل فيـــه بصرك بين الخطيب وجمهوره ، وقد استولت عليك مهابة واكبار ، وسرت بين جنبيك سارية من نشوة الخشوع .

انه فى هذه الوقفة الجبارة ، فى هذا السمت الأشم ، وهو مسترسل يجلجل بنبراته ، يروعك منه اول ما يروعك قسمات وجهه ، اذ تتشكل فى طواعيـــة معبرة ، وتأدية مصورة .

كل خلجة ترف على محياه ، كأنما هى مرآة الكلمة التى ينطلق بها لسانه ، وروح المعنى الذى يريد الاعراب عنه . فما هذه الخلجات التى تتعاقب على صفحة وجهه الا ترجمة حسية لتلك الكلمات التى تنبس بها شفتاه لا يعوزها البيان والافصاح .

حسبك أن تراه ، دون ان تسمعه.. حسبك ان تستجلى ما يرتسم من سماته وملامحه ، لكى يتـــأدى الى فهمك قصارى ما يبعثه ذلك الصوت الرنان من أفكار ومعان .

أنت ماثل امامه ، لا تفتأ تطيل التحديق فيه ، فى هـــذا الوجه الذى يكسوه طابع العروبة العريقة ، ذات السمرة الرائقـــة .

خلف هذه البشرة الملوحـــة ، تكمن خصائص العربى الصميم .

فى ذلك الوجه السوى ، نموذج لابن العرب الأصيل .

انه من طينة « مصر » الزكية ، تلك الطينة التى انضجتها شمس الوادى الساطعة تبث فيها حرارة الفتوة والحيوية ، وغذاها هواء الصحراء الجاف يبعث فيها خصائص التجلد والمصابرة ، ورواها ماء النيل عذبا يتدفع فى عزمة وكفاح .

انك لتحد بصرك فى ذلك الوجـــه ذى البشرة الملوحة السمراء ، فتستبين لك حمرة الدم الحى .. لكأنها حمرة

النيل فى أوج فيضـــانه ، وذروة عنفوانه ، ينفح الوادى الخصيب بالخير والبركات .

فى وقفة هذا البطل الفارع ، براسه المرفوع ، ومنكبيه العريضين ، وهو يستشرف الأفق بعين النسر المتوثب ، يتمثل جلال الماضى ، ويقظة الحاضر ، وأمل المستقبل .

شبيه هو فى وقفته تلك بالمصرى الأول «رمسيس الثانى»، يتقدم جيشه المحتشد ، وهو على اهبة الغزو المظفر .

بل ما اشبهه باخيه « أحمس » محرر الوطن ، فى يمينه قوسه وسهامه ، يسوق الرعاة الغاصبين سوق النعم ، ليجلوهم عن الأرض الطيبة .

بل ما أقربه شبها الى البطل « صـــلاح الدين » يقيم للعروبة مكانة سامقة ، لا تنال منها صروف الأيام ..

كان « صلاح الدين » بطل « فلسطين » ، وســـيد « بيت المقدس » ، وذلك هو خليفته ، يرفع راية العرب خفاقة تبهر العيون من مهابة ، وترد كيد العادين من خوف وفـزع ..

حقا انه لرائد هذا الوطن العربى الكبير ، فيه تتمثـل روحه الطموح ، وتتجسد عزيمته الثائرة ..

انه لينهض بهذا الوطن نهضته الكبرى ، وينشر الوعى القومى الشامل ، ويقيم فى ربوع البلاد صروحا من الاصلاح عالية البناء ، بها تتحقق المبادىء القويمة ، ويدنو المثـل الرفيع .

هذا هو الرائد الذى استطاع أن ينزع عن عاتق الوطن تلك الشملة السوداء التى رانت عليه طوال العهود .

ها هو ذا يمزقها كل ممزق ...

ها هو ذا يضرم النار فى بقاياها ، فتغدو هباء تذروه الرياح ...

انه ليباعد بين أمته وبين تلك الظلال القاتمة الكئيبة ، تلك التى عشنا فى حلوكتها أعواما مديدة .

هو الرائد الأول ، لا ريب ...

الرائد الذى رأى بنور بصيرته أن وراء الليل الأســود فجرا قريبا وضاح السنا زاهى الاشراق ..

الرائد الذى لم تعوزه فى سعيه الحثيث جسارة واقدام، ولا ردته عن بلوغ الغايات مصاولة وجلاد ..

الرائد الذى لا يثنيه خوف ولا رهب .

لم يراقب فى نزعاته ومراميه الا الله .. اذ آمن بأن للكون ربا بيده مساق الأقدار ، واليه مصير كل شىء فى الوجود ..

لم يراع فى أعماله ومساعيه الا ضميره اليقظ .. ذلك الذى يتصدى له فيما يسر ويعلن ، ويشير عليه فيما يأخذ وما يدع .

لعمرك ما كان لهذا البطل أن يبلغ من زعامة الأمة ذلك المبلغ العميق ، الا بعد أن اكتسب فى سيطرة وتمكن صفة الزعامة المثلى ، بل فضيلتها الأولى : **الشجاعة ؛ شجاعة الرأى ، وشجاعة النفس ، وشجاعة الارادة ..**

لقد كانت صفات الزعامة كامنة فيه ، خلقت معه ، وعملت الأحداث عملها فى تنمية تلك الصفات الغالية ، فاذا هى تتفتح ، واذا هى على مر الأيام تزداد من نضج ، حتى دقت الساعة الحاسمة ، تنشد رجلها ، وتنادى بطلها ، وكأنما كانت تناديه ، وكأنما كانت تعنيه .

ومضى على الطريق ، يذلل الصعاب ، ويتخطى العراقيل، ويصنع المعجزات ..

حسبه أنه صانع جمهوريتنا الفتية ، جمهوريتنا الحاضرة ، بما وفر لها من حرية سياسية ، وبما أرسى فيها من قواعد العدالة الاجتماعية ، ووسائل التقدم الاقتصادى ، وبما واتاها به من قدرة على التطور الأصيل فى شتى المجالات والميادين .

حسبه اليوم أنه اذا شاء أن يجهر بكلمة « لا » قوية مدوية ، فليس شىء فى الأرض بقادر على أن يثنيه عنها بترغيب أو ترهيب .

لقد نطق بها غير مرة ، فأصاب بها انتصارات فذة ، وكانت فى سمع الزمان فصل الخطاب ..

انه ليسدد كلمته الأبية ، فيصيب بها المرمى البعيد ..

ذلك لأنه يقدر هذه الكلمة حق قدرها ، فيعرف كيف تقال ؟ واين تقال ؟ ومتى تقال ؟

منطق يحسنه الزعيم الذى حذق فن الحرب ، فعرف كيف ترسل القذيفة ؟ واين تكون الرمية ؟ ومتى يصاب بها الهدف ؟

ايها المواطن الزعيم :

انت الساعة تبنى مجد وطنك العربى الكبير ، وانت فى الوقت عينه تبنى لنفسك مجدا وان لم ترد ، ولا غرو ، فلا فاصل بينك وبين الوطن الذى فديته بروحك ، بجهادك ، وما زلت له سمح النفس فى موقف الفداء .

اى فاصل بينك وبين وطنك ، وهذا الوطن اليوم وحدة شاملة تجمع « الزعيم » و « الشعب » معا ، فتجعل منهما جسما واحدا وروحا واحدة ؟

اهنأ ايها البطل المتسامى بنظرته الى العلى ، المتطلع الى الافق المشرق ، أفق الأمل الزاهر ..

اهنأ بما كسبت للعروبة من مجد ، وما عقدت بناصيتك من فوز .

تابع خطاك ..
الى الأمام ..
الى القمة بعد القمة ..
والأمة العربية من حولك ، ويد الله مع الجماعة .

محمود تيمور